الفصل الثالث

الأولاد والتدخين

إن أولادكم هم شعاع من أرواحكم ، وقبس من نفوسكم ، وقطع من أكبادكم ، هم أغلى أمانة استودعكم إياها الوطن . وحق الأمانة أن تحفظوها وتردوها سليمة من كل عطب . فالواجب يحتم عليكم قراءة هذا الفصل من أجل مستقبلهم .

إذا نظرنا إلى منشأ عادة التدخين من الناحية الفلسفية وقفنا حيارى إزاء تعليلها وارجاعها إلى أصلها ، فإن التدخين متعب فى استعماله لا سيما فى بدء تعوده ، إذ لا تستسيغه النفس بسهولة ، هذا فضلاً عن ضرره وما يستلزمه تعوده من نقود تذهب فى الهواء .

إذا عرفنا كل ذلك .. تبادر إلى أذهاننا السؤال التالى : ماهو الباعث على التدخين إذن ؟؟

وأغلب الآراء على أن الباعث على ذلك فى أول الأمر هو القدوة السيئة وحب التقليد الأعمى بين صغار الأولاد ، فإن الصبى وهو على أبواب المراهقة ، تقوم به رغبة شديدة فى التشبه بالرجال وهو يرى معظم الرجال يدخنون بينما يرى الصغار ممنوعين عنه . فتتوق نفسه إلى ما ينتقل به من مصاف الغلمان إلى مرتبة الرجال . وينظر حوله فلا يرى نفسه مهما فعل ببالغ أجسامهم أو له مثل لحاهم أو شواربهم ، بينما يسهل عليه أن يضع بين أصابعه السيجارة ولو خلسة من والديه ، فيقدم على ذلك غير مقدّر الهوة التى يتردى فيها بفعله . إذ أن وطأة التدخين على الصغار شديدة قاسية لا سيما وهم فى مستهل نضوجهم الجسمانى والعقلى .

فمن الثابت أن التدخين يعطل النمو الطبيعى للجسم والعقل ، وقد كتب فى ذلك الطبيب الأمريكى المشهور الدكتور « تشارلس براون » فقال :

من المُسَلَّم به أن الصبى الذى لم يكتمل نموه إذا اعتاد التدخين ولو باعتدال وحذر ، يتعطل نموه وتصيبه اضطرابات عصبية وضعف فى القلب ، ويضطرد ضرر التبغ المنهك على مر الأيام ، وعلى طول التمادى فى هذه العادة .

إن أعضاء الصبى التى لم يكتمل نموها لا تحتمل بأى حال وطأة السموم التى تتخلف من التبغ ، ولذلك كثيراً ما تُلفظ هذه السموم على شكل قىء أو سوائل تفرزها الأنف أو العين .

يقول رجال الأعمال : إن التدخين يُقعد الفتى عن إتمام واجباته ، فلا يُرْجَى نفعه فى أى ناحية من نواحى الحياة ، فالصبى المدخن يكون دائماً زاهداً فى العمل . غير قادر على الاضطلاع به لا سيما والغلمان دائماً يبدأون بتدخين اللفافات (السجاير) التى هى أضر أنواع التدخين ، وذلك لسهولة الحصول عليها .

إنى طالما تلقيتُ رسائل مبكية من آباء يتحسرون لاعتياد أولادهم التدخين ، وإنى أسرد هنا واحدة منها يبين فيها مدى ما يعتمل فى نفس كاتبها من ألم وتوجع على حالة ولده قال :

« كان ولدى صبياً نابهاً ذكياً نشيطاً مُجِدّاً فى دروسه قبل اعتياده التدخين ، ولكن هذا الذكاء والنشاط قد خبا وحلَّ محله العجز التام عن فهم علومه ، واستذكار دروسه . ولقد انحطت نفسيته فهو لا يستحى أن يظهر بأقذر المظاهر ، وأخرق الثياب ، وقد ماتت فيه عذوبة الروح إذ كان شديد الولع بالموسيقى ، متقدماً فيها ، فأصبح راغباً عنها وعن كل ما يسمو بالنفس من فنون جميلة .

ولعلك يا سيدى تلتمس لى العذر لإزعاجك بقصة هذا الغلام إذ هو وحيدى الذى أعقد عليه لواء آمالى . وأنا أطمع فى عطفكم وآدميتكم لخلاص وحيدى من وبال هذه العادة المهلكه قبل أن يستفحل شرها أكثر من ذلك » .

والواقع أن ذلك الأب الحزين مُحقٌ فيما قال لا سيما عن انحطاط نفسية ولده ، ويُعَزِّز قوله عن هذا الانحطاط ما تقرره محاكم الأحداث فى أحكامها كل يوم من أن الأولاد المجرمين جلهم من الذين تعوَّدوا التدخين فى باكورة أعمارهم .

وقد صرَّح مرة أحد قضاة محكمة الأحداث فى ديترويت بأن : « كل مَن يتتبع خطوات الغلمان المدخنين يتبين له بجلاء مدى بطش تلك العادة وقسوتها على نفسية الصغار ، فهى تهوى بمستواهم الأخلاقى إلى أحط دركات الانحطاط . ولذلك فمحاكم الأحداث لا يكاد يمثل أمامها صبى لا يدخن .

ورجال التربية والتعليم يقررون مثل ذلك بالنسبة للطلبة الذين يدخنون ، ولقد قامت إحدى الكليات بمقارنة بين تلاميذها الذين يرسبون دائماً فى الامتحانات النهائية فوُجِدَ أن ٨٦٪ من هؤلاء التلاميذ من الذين وقعوا فى شرك التدخين .

وإن المربين يلاحظون بعد ذلك أن مستوى الصحة ينحط بشكل فظيع بين الطلبة المدخنين ، حتى لقد تتبعت كلية « درتموث » خطوات طلاَّبها وقامت بإحصائية عنها عام ١٨٦٨ فأخذت بياناً بأسماء الطلبة الذين كانوا يدخنون إبَّان الدراسة وتتبعت خطواتهم لمدة خمسين عاماً ثم خرجت بالنتيجة الآتية عام ١٩١٨ :

- بالنسبة للمدخنين :

كان متوسط عمر الذين ماتوا منهم فى خلال هذه المدة هو ٤٩ سنة و ٩ شهور

- بالنسبة لغير المدخنين :

كان متوسط أعمارهم هو ٥٩ سنة و ٤ شهور . أى بزيادة ١٠ سنوات تقريباً عن المدخنين .

ثم إن هذه الكلية واصلت إحصائياتها لخريجيها لمدة ستة أعوام متتالية فجاءت كل النتائج مؤيدة للنتيجة السالفة .

ومعنى هذا أن التدخين فى باكر العمر لا يعنى غير تقصير الأجل أو الموت قبل الأوان .

فنحن والحالة هذه نخرج من موضوع الأولاد المدخنين بأن أثر التبغ على الصغار أشد وأقسى بكثير منه على الرجال ، ونتيجته الحتمية هي تبلد الذهن وانحطاط النفس وضعف الصحة وقصر العمر . فإذا أضفنا هنا أيضاً ملحوظة لها خطورتها ، ألا وهى تدخين أعقاب السجاير أو تبادل السيجارة الواحدة بين عدة أولاد ، وهو ما يلجأ إليه الكثيرون منهم لا سيما الفقراء لما هو معروف عن قلة موارد الصبى الصغير التى تساعده على مشترى كفايته من هذا المخدر ، إذا أعطينا هذه الملحوظة الخطرة أهميتها التى تستحقها كانت النتيجة مرعبة حقاً ..

فتدخين بقايا (أعقاب) السجاير هو شر ما عُرِفَ من أنواع التدخين ، فإن كل السموم التى تفرزها السيجارة يتجمع أغلبها فى المؤخرة ، فإذا شربها إنسان كان كالمنتحر بالسم سواء بسواء ، أما تبادل السيجارة الواحدة بين عدة أولاد فمعناه انتشار الأمراض المعدية التى تجد الطريق لها ممهداً بالانتقال من فم إلى آخر .

* * *

● التقليد الأعمى :

من المؤلم أن نسبة المدخنين بين الأولاد ارتفعت فى السنين الأخيرة ارتفاعاً مخيفاً نتيجة للانحلال الخُلُقى . وضياع القيم بين الصغار والكبار . وهذا الضياع هو مسئولية الكبار . الذين يُدمنون التدخين أمام أبنائهم . فضلاً عن صور الشخصيات البارزة والأدباء والفنانين التى تظهر فى الصحف وعلى شاشات السينما والتليفزيون . وهم يدخنون بشراهة واستمتاع مفتعل . مما يجعل الأولاد المساكين يقعون فريسة التقليد . إعجاباً بهؤلاء النجوم .

ليت الكبار يمتنعون عن التدخين أمام الصغار - على الأقل - حتى يتجاوزوا مرحلة التمييز بين لطيب والخبيث .

* * *